

شعر المناجاة عند الشيخ آدم عبد الله الإلوري والدكتور كمال الدين علي المبارك: دراسة مقارنة

إعداد:

أجيدابا إبراهيم عبد الرزاق

طالب الدكتوراه في قسم اللغة (شعبة اللغة العربية)، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة الحكمة، إلورن، نيجيريا، وموظف إداري في مركز فنون الترجمة،

جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا

ajidagba.ia@unilorin.edu.ng

08032422498

و

حسنة سعيد ألييلو

طالبة الدكتوراه في قسم اللغات (شعبة اللغة العربية)، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة

الحكمة، إلورن، نيجيريا

وموظفة في دار الفلاح للدراسات العربية والإسلامية للتربية، غيروو، إلورن

khariyalo@gmail.com

08136772817

الملخص:

تهدف هذه المقالة إلى دراسة مقارنة بين شعر مناجاة الشيخ آدم عبد الله الإلوري والدكتور كمال الدين علي المبارك على أساس أن فنّ المناجاة لون من الدعاء بل هو إخلاص الدعاء، والتقرب إلى الله، وبذل كل الهمة والجهد كي يتقبلها الله، ولا بد من الإشارة إلى أنها تعتبر أعلى درجة من الدعاء، حيث يحتاج فيها العبد إلى الإخلاص في توجهه إلى الله، والابتعاد عن كل ما يوقع في قلبه الشك في قدرته على قبول الدعاء. ولأهمية هذا الفن الشعري في الساحة الأدبية ينصب اهتمام هذا البحث إلى الدراسة المقارنة بين الشاعرين المذكورين حيث ينظر البحث أوجه الاختلاف والائتلاف ولا سيما الأوجه المشتركة بينهما في تأليف هذا الفن الشعري. ولكي نقف على حقيقة معنى فن المناجاة والنظرة الدقيقة على خصائص الشاعرين ومميزاتهم وكذلك تحقيق هذه الدراسة أهدافها يستعمل الباحثان المنهج التاريخي لتوثيق بعض الحقائق التاريخية المتعلقة بهذا العمل والمنهج المقارن وذلك للقيام بعملية تحليلية للنماذج المختارة راجيا الإجابة عن هذه الأسئلة الآتية: ما هو شعر المناجاة في الساحة الأدبية؟ ومن هو الشيخ آدم عبد الله الإلوري والدكتور كمال الدين علي المبارك؟ وهل لهما شعر المناجاة في إنتاجاتهما الشعرية؟ وما هي خصائص أسلوبية لكل واحد منهما في قرض الشعر العربي؟ وهل ينفرد كل منهما

بمميزات فنية في قرص شعر المناجاة؟ ولكي يسهل الإجابة على هذه الأسئلة تأتي محاور الدراسة على النمط الآتي:

المحور الأول: التعريف الموجز عن حياة الشاعرين

المحور الثاني: فنّ المناجاة في الشعر العربي

المحور الثالث: عرض القصيدتين المختارين

المحور الرابع: الدراسة المقارنة للنموذجين المختارين

المحور الخامس: الخاتمة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي محمد وعلى آله وصحابه وسلّم:

فإنّ هذه المقالة تهدف إلى دراسة "شعر المناجاة عند الشيخ آدم عبد الله الإلوري وكمال الدين علي المبارك دراسة مقارنة" حيث تم الاختيار من بين إنتاجاتهما الشعرية قصيدتين اثنتين وفي بهمة هذه الدراسة مناقشة مناسبة القصيدتين وأفكارهما الرئيسية والجزئية، وكذلك تتناول المقالة أنواع العاطفة الموجودة في القصيدتين والخيال ولا سيّما الملامح البلاغية فهما وأسرار الموسيقى التي تتسم بها القصيدتين وتقوم المقالة بتحليل الجمال الشعري في النموذجين المختارين.

المحور الأول: التعريف الموجز عن حياة الشاعرين

أ- الشيخ آدم عبد الله الإلوري:

ولد العلامة الإلوري ببلدة واسا ببينين يوم الجمعة عام ١٩١٧م، واختار له أبوه اسم تيمنا بجده الأعلى الشيخ آدم ألنمو البرناوي والد جدّة أبيه حليلة، وهو أحد كبار علماء المنطقة، ومن سلالة الفقهاء، والعباد بربوة السنة، وتبركا بأبي البشر عليه الصلاة والسلام. نشأ في حجر والديه، وتلقى من أبيه ما علمه الله من مبادئ الثقافة العربية والإسلامية، وكان من جملة ما قرأ عليه "القرآن الكريم" سرداً، و"مبادئ الفقه المالكي"، ومديح "قبا"، و"صرف العنان"، و"منظومة يحيى القرطبي". وأما من جانب التربية والسلوك فقد نهج به منهج أهل النباهة والفتانة، واستعمل أسلوب الجد، وهو غريزة والده. لعلّه هو الموقف السائد في الاتجاه التربوي عهدئذ، وكان يصطحبه في حلّه وترحاله، وخاصة عند زيارة العلماء، والعباد، والنسك، ولم يزل بهذا الحال حقّ أطل سراحه للمتلقى على غيره، فاستقر لدى الشيخ صالح بن محمد أستيووبو الإلوري نزول إبادن عام ١٩٣٤هـ المتوفى ١٩٧٦م، فقرأ عليه "الحكم العلوية"، و"منظومة الزهد"، و"المواعظ البالغة"، و"خمسون فريضة"، وتفسير "سورة

يس"، و"البردة"، و"مفتاح الإعراب"، و"الزنبية"، و"العشرينيات"، ولاميتي العرب والعجم، وأجزاء من "الأربعين النووية"، و"لامية الأفعال"، و"مقصورة ابن دريد".

ثمّ سافر إلى مصر للتثقف، فالتحق بالأزهر الشريف، ولم يسمح له الظروف بطول المكث، وعقدت له امتحانات أهله شهادة تعادل الثانوية وبموحها اجيزت له مهمة التدريس والدعوة والتأليف في بلاده عام ١٢٦٥هـ/١٩٤٦م. (أغاكا، ٢٠٠٣: ١٤-١٧)

إسهاماته في المجال العلمي وبعض مؤلفاته وفاته

لقد بذل العلامة آدم عبد الله الإلوري كلّ ما في وسعه من الجهود لخلق أجيال جديدة يحملون على أكتافها الرسالة الإسلامية المحمدية، وذلك عن طريق الوعظ والإرشاد وتأسيس المدرسة للدراسات العربية والإسلامية، والتأليف في الميادين المختلفة التي ينتفع بها الإسلام والمسلمون، وق تخرّج من مركزه عدد لا يستهان به من العلماء الذين يقومون اليوم برفع لواء اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا وبعض البلدان المجاورة.

(إنغرو، ٢٠١٢: ٧٨). هذا، وإنّ الشيخ رغم ما تحمّله من مسؤولية إدارة أسرته ومركزه وقيادة شؤون الإسلام وثقافته، واشتراكه في المنظمات الإسلامية على اختلاف أنواعها داخل بلاده وخارجها، وانتقاله من ندوات داخلية إلى مؤتمرات عالمية خصص من أوقاته الغالية نصيباً لتأليف الكتب القيمة، وإنشاء القصائد الجيدة، واللقاء الخطب البليغة، وإعداد المقالات الشيفة في الميادين الدينية، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، انطلاقاً من أيام نبوغه إلى وقت وفاته. (الثقافي، ٢٠١٢: ٢٢٢).

بعض مؤلفاته:

وقد أحسن البروفيسور عيسى ألي أبوبكر في جمع أعمال الشيخ آدم وترتيبها وتلخيص مضمونها في كتاب سمّاه "أعمال العلامة الإلوري قراءة وتلخيص"، ومن هذه الأعمال: * الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني؛ * لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن. * نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد إلورن. * الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا * نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي. * مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية. * توجيه الدعوة والدعاة. * أصل قبائل يوربا. * الإسلام وتقاليده الجاهلية * الإسلام دين ودولة. (ألي، ٢٠٠٤: ٧-٢٧)

وفاته: توفّي يوم الأحد غرة ذي القعدة ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩٢/٥/٣م بالغاً من عمره خمسة وسبعين عاماً، ودفن بجوار أبويه في مركزه بأغيغي لاغوس (رحمه الله واسعة) أمين. (بودوفو، ٢٠١٢: ٤٢٢)

ب- ترجمة الدكتور كمال الدين علي المبارك:

ولد الدكتور كمال الدين علي المبارك اليوم السادس من شهر مايز عام ١٩٥٢م الموافق ١٣١١هـ في مدينة أؤفا، ولاية كوارا. نشأ وترعرع في كنف والده الشيخ علي أخذ حياته التعليمية مسترشداً بهداه كما هو الحال لدى أبناء العلماء، وحفظ أحزاب القرآن الكريم وتلقّى بعض مبادئ العلم، ثم التحق بأوّل

مدرسة عربية في أؤفا، وهي (مَكَرَنْتَ Makaranta) عام ١٩٦٥م، وتتلَمَد بعد ذلك على الشيخ عبد الرحيم من مواليد إقوسن (Igosun) الذي كان من العلماء النازلين المهاجرين إلى مدينة أؤفا وقتئذ، ثم التحق بمدرسة الشيخ عثمان أوولابي (Owolabi) بن الإمام صلاح الدين عام ١٩٦٣م، وفيها حفظ المختارات من الكتب الأولية المشهورة، أمثال: كتاب قال عبد الرحمن، وكتاب قال أبوبكر، ومتن العشماوي، وخمسون فريضة، وبعض أبيات قصيدة البردة. وبعد ذلك انتقل إلى مركز التعليم العربي الإسلامي، أغبيغي تحت رعاية فضيلة الشيخ آدم عبد الله الإلوري (رحمه الله) للمرحلة الإعدادية والتوجيهية بين ١٩٦٧-١٩٧٤م، كما حصل على الدبلوم في الإنكليزية بالمراسلة من "كلية توتوريا لندن". التحق بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، في المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٨م، وتخرج فيها بعد أن نال شهادة الليسانس في اللغة العربية عام ١٩٨٣م، ثم جامعة الملك سعود بالرياض لمواصلة دراسة الدبلوم العالي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ثم نال شهادة الماجستير ودرجة الدكتوراه في اللغة العربية في جامعة إلورن (ثوبان، ٢٠١٢: ٧) وظيفته ومناصبه:

أخذ مهنته التدريسية في مركز التعليم بأغبيغي، مباشرة بعد تخرجه فيه عام ١٩٧٤م، وظلّ به حتّى عام ١٩٧٨م، ثم بالمدرسة الثانوية الحكومية التابعة لجمعية نواثر الدين بأؤفا بين ١٩٨٤-١٩٩٤م، ثم عمل داعياً لدى هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، مكتبة كدونا، نيجيريا بين ١٩٩٢-٢٠٠٠م. ثم عيّن النائب الثاني لرئيس هيئة رعاية شؤون الحجاج بولاية كوارا، نيجيريا، ١٩٩٥-١٩٩٧م. وهو حالياً يدرس اللغة العربية بجامعة الحكمة بمدينة إلورن (ثوبان، ٢٠١٢: ٩) إنتاجاته الأدبية:

يعتبر الدكتور كمال الدين علي المبارك همزة الوصل بين السلف والخلف من علماء مدينة أؤفا وهو من أكثر علماء مدينة أؤفا لكونه أوّل حامل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية بين أبناء أؤفا، وهو في الفوج الثالث من الطبقة الثانية من حيث الترتيب والدرجات لعلماء مدينة أؤفا، وهو من أوائل أصحاب الدواوين، وأولئك الأفذاذ الذين تفخر بهم مدينة أؤفا في حقل اللغة العربية وآدابها في وقتنا الحاضر. للدكتور كمال الدين عديد من الكتب الدينية والأدبية، وله ديوان شعر حافل بشتّى الأغراض الشعرية. ومن أهمّ مؤلفاته: نواقض الإسلام ومستلزمات الشهادتين (مطبوعة)، ومفهوم الولاء والبراء أهميته في حياة المسلم والدعوة إلى الله (مطبوعة)، ومسؤولية الأئمة في بناء الأمة (مطبوعة)، وله أيضاً بحوث أكاديمية في المجالات النقحة على المستوى الإقليمي والدولي والعالمي. (أديبسي، ٢٠٠٩: ١٠٩-١١٠)

المحور الثاني: فنّ المناجاة في الشعر العربي

شعر المناجاة: هو الشعر الديني أو هي الابتهالات الدينية بما تشمله من تضرع ودعاء وتسابيح لله عز وجل، لون من ألوان الخطاب الهامس، الخافت بين اثنين أو أكثر. (عيسى، ٢٠١٢: الشبكة العنكبوتية).

ولاشك أن جذور هذا التوجه راسخة في مسيرة الشعر العربي القديم، وخاصة عند الشعراء الصوفيين، كما أنه عرف في الآداب الأجنبية، حيث تعمق في هذا الاتجاه الروحي كثيرون منهم «ملتون» وكان من أهدافه أن يُعيد الناس إلى الاعتبارات السامية، ويُذكرهم بالغايات النبيلة. ولعلنا نبصر في نصوص المناجاة التي برع في نظمها أولئك المجيدون سمو الأدب الذي يرتقي بالمشاعر ويسمو بها في فضاءات التبتُّل والصفاء، ويدعوها إلى توحيد الله تعالى والإخلاص في العبادة وتجنُّب المعاصي والآثام، وهي أهداف نبيلة جاء بها الشرع، وأُسِّس عليها الشعر، لولا ما اعترى الشعراء من نزعات وشطحات حادت بهم عن المعنى الحقيقي للأدب. وفي هذا دليل على أن الدعاء حوار تعبدي نابع من ذات الإنسان ودخله، ذلك أن مبررات الدعاء ودوافعه ناتجة مما يلي: حالة الخوف من المجهول وحالة الشدة والكرب وحالة الطمع في الثواب والرزق وحالة الضعف الإنساني. وفي هذا يتضح جليا على أن الإنسان محتاج إلى مناجاة الله تعالى لإذكاء الشعور برحمته وعظمته وعنايته، وإخلاص التوجه إليه بالدعاء والاستغفار. (الهييتي، ٢٠٢١: الشبكة العنكبوتية).

المحور الثالث: عرض القصيدتين المختارين

مناجاة العلامة آدم عبد الله الإلوري:

- ١- يا ربّ قد ضقتُ ذرعاً بالهموم وقد ** رجوت فضلك أصلاً ثمّ لم أزل
- ٢- أرجوك والحال لا يخفى عليك على ** ما كان لي من حياة البؤس والعطل
- ٣- لقد تعلّمت علمَ الدين في لغة ** أنزلت فيها كتاب الذكر والمثل
- ٤- صرّقت فيها حياتي من بدايتها ** إلى أواسطها والنفس في شغل
- ٥- لكن على غير جدوى في الحياة لقد ** ظلّت معيشتنا ضنكاً على الفشل
- ٦- كدّرت عيش بني الإسلام يا صمد ** كأنهم في ضلال الدين والخطل
- ٧- وهالك قوم النصارى واليهود لقد ** نالوا حظوظ حياة قسمة الأزل
- ٨- أعطيتهم كلّ خير في الحياة وفي ** برّ وبحرٍ وفي سهل وفي جبل
- ٩- هل أجبروك على توفير حظّهم ** ومنعنا حظّنا حتّى من العمل
- ١٠- وما لنا غير قرآن وحكمته ** ونقل كلّ حديث الخاتم الرسل
- ١١- يا خالق الخلق يا رحمن قاطبة ** يا من يرى ما خفى يا عالم الجمل
- ١٢- إنّي قصدتك بالنجوى التي كتبت ** على الرجاء الذي قد شيب بالوجل
- ١٣- إن كنت من قال أدعوا أستجب لكم ** فارحم عبيدك ذا النجوى وذا الزلل
- ١٤- أصلح له الحال وارفع مستواه إلى ** أعلى مكانات من أعليت في رحل
- ١٥- يسّر له العيش يا رزاق مسرعة ** يا خالق الخلق أدرك صاحب الأمل

(ثوبان، ٢٠١٢: ٩)

النموذج الثانية للدكتور كمال الدين علي المبارك

قصيدة نظمها ظهيرة الجمعة ١٤٠٩/٧/٤ هـ الموافق ١٩٨٩/٢/١٠ م "لامية الابتهاال"

- ١- إلهي إلهي عليك اتكالي ** وما لي سواك منيل المنال
- ٢- إليك رجائي ومنك الملاذ ** رجاء سواك كرؤية آل
- ٣- فأنت الكريم فمن ذا الذي ** يجود كجودك في كل حال
- ٤- عليم يخاف كذا معلن ** خبير سميع بسرّ المقال
- ٥- بديع السماء بأطباقها ** بسطت الأراضي بغير ثقال
- ٦- وتجري البحار بماء العيون ** ويسقي الدواب بسحب ثقال
- ٧- بحار الأراضي، نجوم السماء** وأشجار غاب، رواسي الجبال
- ٨- وبيض الفرنج، وحمرة الهندود** وسود الأعاجم، لمع اللآل
- ٩- دلائل حق له بالوجود ** قديمًا فريدًا عجيب الفعال
- ١٠- ولا النوم يأخذه لا السهاد ** ولا شيء يعجزه كالرجال
- ١١- فصيح جهابذة أبكم ** عقول فلا سفة في العقال
- ١٢- أمام فصاحة آياته ** لإتيان أمثالها في المحال
- ١٣- فماذا يطيقون من صنععه ** وهم أعبد قهروا بالزوال
- ١٤- فمن ذا الذي يستجب الدعا ** سواك إلهي عليك اتكال
- ١٥- سميع لمن أن من ضره ** قريب مجيب لكلّ السؤال
- ١٦- خبير بخلق وما قدموا ** قدير عليم بعد الرمال
- ١٧- بصير لما دبّ في ظلمة ** رؤوف العباد شديد المحال
- ١٨- مددت إلى يدي خاشعا ** أجب يا مهيمن يا ذا النوال
- ١٩- تهرأت من حيلتي خالقي ** كوكك ذا العز يا ذا الجلال
- ٢٠- أتيتُ جنابك يا منقذي ** فلا ترددني عديم الوصال
- ٢١- دليل ببابك يا عزتي ** فلا تخذلني بسوء الفعال
- ٢٢- ذنوبي ثقال إليك أتوب ** فأدعوك ربي لمحو الثقال
- ٢٣- مصائب الدنيا تسد العباد ** رجوتك ربي لفك العقال
- ٢٤- شياطين إنس وجن كثير ** فلا تسلمني لهم لاغتيال
- ٢٥- وجنات فردوس يا خالقي ** إليها إلهي يكون المصال
- ٢٦- وصل إلهي على مصطفى ** بشير نذير كريم الخصال

٢٧- كذا الأهل والصحب أهل التقى** هداة العباد مثال الكمال (المبارك، ٢٠١٠: ٤٣-٤٤)

المحور الرابع: الدراسة المقارنة للنموذجين المختارين من شعر المناجاة مناسبة النموذج الأول للشيخ آدم الإلوري

نظم الشيخ العلامة آدم عبد الله الإلوري هذه القصيدة للتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك عند استغاثته، وتوجهه إلى الله، وله رغبة شديدة في طلب شيء عند الله تعالى دون طلب شيء عند الناس، وهو أحد من الكبر العلماء اليهوديين فرض عن شعر المناجاة كثيرة والإكرام والتواضع والتضرع إلى الله تعالى الزلفى باستقبال إعماله.

مناسبة النموذج الثاني للدكتور كمال الدين علي المبارك

فقد هيّج عاطفة الشاعر نحو هذا الغرض، وأثار وجدانه ذكره عن شعر مناجاة لاستغاثته وتضرع إلى الله تعالى، وتاريخ نظام هذه القصيدة ظهيرة الجمعة ١٤٠٩/٧/٤ هـ الموافق ١٩٨٩/٢/١٠ م
*الأوجه المشتركة بينهما في خلال النموذجين المختارين:

الوجه الأول: يشترك الشاعران في مطلع القصيدة.

استئنّف الشيخ آدم عبد الله الإلوري قصيدته المختارة ببراعة الاستهلال بدون الوقوف على الأطلال أو البكاء عليها قائلاً:

- ١- يا ربّ قد ضقتُ ذرعاً بالهموم وقد ** رجوت فضلك أصلاً ثمّ لمّ أزل
 - ٢- أرجوك والجال لا يخفى عليك على ** ما كان لي من حياة البؤس والعطل (ثوبان، ٢٠١٢: ٧)
- يتضح للمتلقين أن الشاعر هنا لا يريد إلا التضرع ومناجاة ربه وتقديم شكواه إليه لأنه أيقن أن همومه وغمومه والشدائد التي يعاني منها لا يستطيع أحد تفريجه إلا الله سبحانه وتعالى ولذلك توجه إليه متضرعاً ومسرعاً إلى قرع باب الفرج. وعلى هذا المسلك القويم اتبع الشاعر كمال الدين علي في هذا النموذج المختار من إنتاجه الشعري حيث يقول:

- ١- إلهي إلهي عليك اتكالي ** وما لي سواك منيل المنال
 - ٢- إليك رجائي ومنك الملاذ ** رجاء سواك كرؤية آل
 - ٣- فأنت الكريم فمن ذا الذي ** يجود كجودك في كل حال
 - ٤- عليم يخاف كذا معلى ** خبير سميع بسرّ المقال (المبارك، ٢٠١٠: ٤٣-٤٤)
- وكلا الشاعرين وظّف الجملة الاسمية في مطلع القصيدة ونعرف ما لهذه الجملة من إفادة الثبوت والدوام. وهذا يدل على أن الهموم وتلك الشدائد ما زالت ماثلة أمام الشاعرين وأنت رب الخلائق قادر على تفريج هذه الهموم وتلك الشدائد. ولعل هذا هو السبب الذي دفع كل الشاعرين من استخدام هذا الأسلوب الذي يفيد الثبوت والدوام.

الوجه الثاني: يشترك الشاعران في الغرض والمضامين:

- كان الغرض في قصيدة الإلوري هو الابتهاال والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى حيث يقول:
- ٣- لقد تعلّمت علمَ الدين في لغة ** أنزلت فيها كتاب الذكر والمثل
- ٤- صرّقت فيها حياتي من بدايتها ** إلى أواسطها والنفس في شغل
- ٥- لكن على غير جدوى في الحياة لقد ** ظلّت معيشتنا ضنكاً على الفشل (ثوبان، ٢٠١٢: ٧)

وكذلك الغرض والمضامين في قصيدة الدكتور كمال الدين علي مبارك وهو أيضاً الابتهاال والتضرع إلى الله سبحانه حيث يقول:

- ١٨- مددت إلى يدي خاشعاً ** أجب يا مهيمن يا ذا النوال
- ١٩- تبرأت من حيلتي خالقي ** كورك ذا العز يا ذا الجلال
- ٢٠- أتيتُ جنابك يا منقذي ** فلا ترددني عديم الوصال
- ٢١- ذليل ببابك يا عزتي ** فلا تخذلني بسوء الفعال (المبارك، ٢٠١٠: ٤٣-٤٤)

الوجه الثالث: يشترك الشاعران في حسن الاختتام أو ما يسمى ببراعة الاختتام

- كان الشيخ الإلوري جعل اختتام القصيدة في هذا النموذج صيغ الدعاء أو ما يدعى ببراعة الاختتام بعد ما قدم في الأبيات السابقة أوصاف الله سبحانه واعتقاده وموقفه تجاه مناجاته بأن الله قادر على قضاء حوائجه وقادر على تفريج همومه ويأتي في نهاية القصيدة قائلاً:
- ١٢ - إنّي قصدتك بالنجوى التي كتبت ** على الرجاء الذي قد شيب بالوجل
- ١٣- إن كنت من قال أدعوا أستجب لكم ** فارحم عبيدك ذا النجوى وذا الزلل
- ١٤- أصلح له الحال وارفع مستواه إلى ** أعلى مكانات من أعليت في رحل
- ١٥- يسّر له العيش يا رزاق مسرعة ** يا خالق الخلق أدرك صاحب الأمل (ثوبان، ٢٠١٢: ٧)

حيث يطلب من الله تعالى تيسير المعيشة وتفريج الهموم لأنه خالق الخلائق طرا وعالم بجملةهم وغني عن التفصيل والتفصيل. وعند ما نرجع إلى قصيدة مناجاة كمال الدين علي المبارك نجد أن الشاعر اختتم تلك القصيدة بالأسلوب نفسه حيث يقول:

- أتيتُ جنابك يا منقذي ** فلا ترددني عديم الوصال
- ٢١- ذليل ببابك يا عزتي ** فلا تخذلني بسوء الفعال
- ٢٢- ذنوبي ثقال إليك أتوب ** فأدعوك ربي لمحو الثقال
- ٢٣- مصائب الدنيا تسد العباد ** رجوتك ربي لفك العقال
- ٢٤- شياطين إنس وجن كثر ** فلا تسلمني لهم لاغتيال

- ٢٥- وجنات فردوس يا خالقي ** إليها إلهي يكون المــــــــــــــــال
 ٢٦- وصل إلهي على مصطفى ** بشير نذير كريم الخــــــــــــــــصال
 ٢٧- كذا الأهل والصحب أهل التقى**هداة العباد مثال الكمــــــــال(المبارك، ٢٠١٠: ٤٣-٤٤)

الوجه الرابع: أنهما يشتركان في اصطفاء نوعية القافية

كان الشيخ الإلوري جعل قافية القصيدة لآماً فأصبحت القصيدة لامية وكذلك اختار الدكتور كمال الدين علي المبارك قافية اللام لهذا النموذج المختار وليس أن كلاهما أدري بمقصود الآخر ولم يوصي أحدهما الآخر وليس أنهما معاصرین وإنما جاء هذا التشابه عن طريق المصادفة. والله أعلم.

الوجه الخامس: أنهما يشتركان في اختيار أداة النداء

كان الإلوري وكمال الدين علي المبارك يشتركان ويتحدان في اختيار الأداة المناسبة للنداء حيث وظّف كل منهما أداة "يا" على غيرها من حروف النداء من بداية القصيدتين المختارتين، ولعل العلة في ذلك هي أن حرف النداء (ياء) أكثر حروف النداء استعمالاً فهو أصل حروف النداء وله من الخصائص ما ليس لغيره منها: لا يقدّر عند الحذف سواء، ولا ينادى اسم الله عز وجل إلا به، وكذلك اسم المستغاث وأيتها... ولم يستعمل القرآن الكريم من أدوات النداء سواء، ولما أن الله سبحانه وتعالى أصل الأصول الكائنات ولم يكن من المنطق أن ينادى أصل الأصول بأداة الفرع من الفروع وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (الفضل، ٢٠٢٠م، الشبكة العنكبوتية)

الوجه السادس: أنهما يشتركان في انتقاء الألفاظ المستخدمة

يتضح جلياً في النموذجين المختارين أن الشاعرين حاولا انتقاء الكلمات العربية الصحيحة التي كان تناولها قريب جداً من غير استعانة ببعض المعاجم العربية رغبة إدراك المعاني الجليلة لهذه الكلمات كما أن أسلوبهما يدل على شخصيتهما حيث يتماشى الأسلوب على كبار شخصيتهما في المجتمع الإسلامي إذ كان الإلوري الداعية الكبير بعد أن كان مؤسساً ومديراً لمركز التعليم العربي الإسلامي وبالتالي كان أديباً ومؤرخاً وخطيباً مسجده الجامع كذلك كان ولا يزال الدكتور كمال الدين علي المبارك الإمام الجامع لجامعة جامعة الحكمة في بلدة إلورن مع أنه يتمتع بدرجة علمية عالية، وهي درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها وأني يشعر في أسلوبهما الركاقة والتعقيد وهما الداعيتان الكبيرتين في المجتمع الإنساني.

* الأوجه المتباينة بينهما في خلال النموذجين المختارين:

التباين الأول: ورود الجملة الاسمية والفعلية في النموذجين

يتبين للقراء الأجلاء عند إعمال النظرة الدقيقة في هذين النموذجين المختارين أن الجملة الاسمية في قصيدة الشيخ الإلوري ودرت في سبعة أبيات وهي: البيت الأول، الخامس، السابع، التاسع، العاشر، الحادي عشر، والثاني عشر. وأما الجملة الفعلية في هذا النموذج فجعل الشاعر ورودها في سبعة أبيات أيضاً ألا وهي: البيت الثاني، الثالث، السادس، الثامن، الثالث عشر، الرابع عشر، والخامس عشر.

ولندبر المناسبة بين الجملة الاسمية والفعلية في النموذج الأول وبالتالي أن هذه الجمل الاسمية في القصيدة تقرر أن هذه الأحوال الشديدة كانت مستقرة ومائلة أمام الشاعر ولم تنفك عنه إلا أن الجمل الفعلية في هذه القصيدة تفيد أن بعض هذه الأحوال لم تكن في حالة واحدة وإنما تأتي في الأزمنة المتباينة على سنة الصرفيين في تحديد الأفعال. فإن الشاعر بهذه الجمل الفعلية تريد إنباه المتلقين أن هذه الأحوال يمكن أن تزول وذلك بملازمة الدعاء ومناجاة الله تعالى. ولكن عند الرجوع إلى قصيدة الدكتور كمال الدين علي المبارك نجد أن وردو الجمل الاسمية أكثر من ورود الجمل الفعلية حيث وردت الجمل الاسمية في ثلاثة والعشرين بيتا وهي: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧ ولكن الجمل الفعلية أتت في القصيدة في خمسة أبيات وهي: البيت ٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٦.

التباين الثاني: اختيار أسماء الله الحسنى وصفاته العليا:

كان الإلوري استطاع توظيف بعض أسماء الله الحسنى على زنة اسم الفاتل ليبدل على الثبوت وليس الدوام حيث اختار يا رب، يا خالق، يا رحمن، يا عالم، يا رزاق، في النموذج المختار. ولكن الشاعر كمال الدين علي المبارك أثر الصفة المشبهة باسم الفاعل من أسماء الله الحسنى وصفاته لتدل هذه الأسماء على الثبوت والدوام منها: إلهي، كريم، عليم، خبير، سميع، بديع، قدير، بصير، رؤوف، مهيمن، خالق، عزيز، الجلال، في القصيدة المختارة.

التباين الثالث: نوعية البحر الشعري في النموذجين

قرض الإلوري قصيدته على البحر البسيط الكامل لأنه في اختيار هذا النوع من البحور الشعرية دلالة واضحة أنه يريد بسط اليدين إلى خالقه ليقضي حاجته كما ينوي بسط كل هذه المصائب الدنياوية والمعيشة الضنك التي آلت للمسلمين ولا سيما مصائب الفقر التي يتمتع بها المسلمون في نيجيريا والنصرانيون وهم مصابون وهم الأثرياء وهم الموظفون في كل الأرجاء، وهم أهل الحل والعقد، وهم أهل القانون والرئاسة. يتعجب الإلوري إلى هذه الهيئة الكريمة من الجانبين المذكورين ويبسطهما إلى الذي يسمع كل الأصوات في الليل والنهار. ولعل هذا هو السبب الذي جعل الإلوري أن يختار ذلك النوع من البحور الشعرية. وبالتالي أن هذا البحر الشعري له أجزاء ثمانية وهي: مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن ** مستفعلن فاعلن

وله ثلاث أعاريض وستة أضرب. العروض الأولى تامة مخبونة "فعلن"، ولها ضربان: مخبون مثلها (فعلن)، ومقطوع (فعلن) بشرط أن يدخله الردف (أي حرف لين قبل روية).

العروضة الثانية مجزوءة صحيحة (مستفعلن)، ولها ثلاثة أضرب: هذيل "مستعلان"، وصحيح، مثل العروض "مستفعلن"، ومقطوع "مفعولن".
العروضة الثالثة مجزوءة مقطوعة "مفعولن"، ولها ضرب واحد مثلها "مفعولن". (الهاشمي، ٢٠٠٨: ٣٩-٤٠)

ومما يزيد القصيدة جمالا وزينة تصريعه في البيت الأول حيث أيد الشاعر حرف الروي وأشار إليه كلها محتمة بالحرف واحد وهو اللام يعني بروية اللامية، فزاد نغم موسيقى القصيدة ليجذب به انتباه المستمع لما يتلقى من الشاعر.

ولكن الدكتور كمال الدين علي فضل البحر الوافر ذلك لوفرة الخير والفضل عند الله سبحانه وتعالى. والوافر بحر من البحور الشعرية، له أجزاء ستة، وهي الآتية:

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن ** مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

ولكنه لم يرد صحيحاً أبداً بل بد من قطف عروضه فتصير "مفاعلتن مفاعل" وتحول إلى "فعولن"، وللوافر عروضتان، وثلاثة أضرب: العروضة الأولى: مقطوعة "مفاعل" فيعرض عنها "فعولن" وضربها مثلها "فعولن". العروضة الثانية: مجزوءة صحيحة "مفاعلتن"، ولها ضربان: ضرب مثلها مجزوء "مفاعلتن" وضرب معصوب "مفاعيلن". (الهاشمي، ٢٠٠٨: ٢٦٥)

التباين الرابع: اختتام القصيدة في النموذجين المختارين

كان الإلوري اختتم هذه القصيدة بالسؤال والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى حيث يقول:
١٥- يسّر له العيش يا رزاق مسرعة ** يا خالق الخلق أدرك صاحب الأمل (ثوبان، ٢٠١٢: ٧)

وعند اللجوء إلى قصيدة الدكتور كمال الدين علي لوجناها أنها اختتمت بالصلاة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم على سنة المتقدمين من الشعراء العرب.

٢٦- وصل إلهي على مصطفى ** بشير نذير كريم الخصال

٢٧- كذا الأهل والصحب أهل التقى ** هداة العباد مثال الكمال. (المبارك، ٢٠١٠: ٤٣-٤٤)

ومما تجدر الإشارة إليه أن عدد الأبيات في مناجاة الإلوري خمسة عشر بيتا بينما عدد الأبيات في مناجاة الدكتور كمال الدين علي المبارك سبعة والعشرين.

المحور الخامس: الخاتمة

تلك هي دراسة مقارنة في شعر المناجاة عند الشيخ آدم الإلوري والدكتور كمال الدين علي المبارك إذ إنّ نقطة الانطلاق الحديث عن التعريف الموجز عن حياة الشاعرين ثم انثنى العمل إلى مناقشة نظرية فنّ المناجاة في الشعر العربي في العجالة ثم عرض القصيدتين المختاريتين للدراسة ثم

الرحلة إلى الدراسة المقارنة للنموذجين المختارين من شعر المناجاة حيث ناقش الباحثان من خلال هذه الدراسة الأوجه المتشابهة والمشاركة ودرسا كذلك الأوجه الاختلاف بين الشعارين. وكانت نتيجة هذه الدراسة هي:

١- أن الشعارين يتشابهان في قرض شعر المناجاة في بعض الأساليب وفي اختيار الخصائص الفنية المتبعة في قرض الشعر العربي وذلك في اختيارهما القافية الواحدة، وفي اختيار حرف النداء "يا" من بداية هذه المناجاة حتى إلى النهاية، وكذلك يتشابهان في تخصيص بعض أسماء الله تعالى في بهيمة هذين النموذجين.

٢- أن الشعارين يختلفان في بعض الخصائص الفنية المتداولة في قرض الشعر العربي مثل: اختيار البحور الشعرية من حيث اختار أحدهما البحر البسيط والآخر البحر الوافر وكلا البحرين من البحور الشعرية الطويلة.

٣- أن الدكتور كمال الدين علي المبارك أطول نفسا في عرض وتقديم النموذج المختار إذ كان عدد أبيات الشعر المدروس أكثر من عشرين بينما عدد أبيات الإلوري لم يتجاوز خمسة عشر. ولهذا يوصي هذا البحث الاهتمام البالغ بنواحي أخرى في إنتاجات العلماء الشعراء الإفريقيين لينتفع بها دارسوا اللغة العربية على المستوى الإقليمي والدولي والعالمي.

سرد المراجع والمصادر:

* أغاكا، عبد الباقي شعيب، (٢٠٠٣م)، الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري، ط / ٣، مطبعة ألي جمبا، إلورن .

* أديسي، عبد الواحد علي، (٢٠٠٩م) دراسة تحليلية لقصيدة التهنئة والنصيحة للدكتور كمال الدين علي المبارك، مجلة أنيفا للدراسات العربية والإسلامية، المجلد الرابع، العدد الأول.

* ألي، عيسى أبوبكر، (٢٠٠٤)، أعمال العلامة الإلوري: قراءة وتلخيص، القاهرة، النهار للطبع والنشر والتوزيع.

* إنغرو، محمد معاذ، (٢٠١٢م)، الشيخ آدم عبد الله الإلوري وإسهاماته في المجال العلمي، "الشيخ آدم عبد الله الإلوري في موكب الخالدين"، الرياض، ج ١، المركز النيجيري للبحوث العربية.

* بودوفو، خليل الله محمد عثمان، (٢٠١٢م)، الموازنات الأدبية لدى الشيخ آدم عبد الله الإلوري، "الشيخ آدم عبد الله الإلوري في موكب الخالدين"، الرياض، ج ١، المركز النيجيري للبحوث العربية.

* الثقافي، عثمان عبد السلام محمد، (٢٠١٢م)، من أساليب آدم عبد الله الإلوري في بعض مؤلفاته العلمية والأدبية، "الشيخ آدم عبد الله الإلوري في موكب الخالدين"، الرياض، ج ١، المركز النيجيري للبحوث العربية.

- * ثوبان، آدم عبد الله الإلوري، (٢٠١٢م)، ديوان العلامة آدم عبد الله الإلوري، مطبعة مركز التعليم العربي والإسلامي، أتوبو، أغيني، نيجيريا، ط/٣.
- * سلامة، عبد المحسن، (٢٠١٩م)، المناجاة في الشعر العربي.. مفهوما وأغراضها، <https://gate.ahram.org.eg/daily/News>
- * عيسى، سحر محمود، (٢٠١٢)، (الدكتور)، المناجاة في الشعر العربي الحديث، <https://darelhekma.net/lmnjh-fy-lshaar-laarby-lhdyth.html>
- * الفضل، مناهل عبد الرحمن، "الدكتور"، أسلوب النداء في القرآن الكريم أسرارهِ وخصائصهِ البلاغية، <https://www.arabiclanguageic.org/>
- * المبارك، كمال الدين علي، (٢٠١٠م)، باقة الأزهار، ديوان الشعر العربي، مطبعة ألي
- * الهاشمي، السيد أحمد، (٢٠٠٨م)، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، ط/١، القاهرة، مكتبة الجواهر.
- * الهيتي، عبد الستار إبراهيم، (٢٠٢١)، المناجاة والدعاء <https://www.islamweb.net/ar/library/content/>